

انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء

العربي 1945 - 1954

الدكتور عامر رخيلة

جامعة الجزائر

قال أحمد شوقي:

واخذع الأحياء ماشئت فلن تجد التاريخ في المنخدعين

وأوصى نابليون ولده بقوله:

ليكثر ولدي من قراءة التاريخ وليتأمله، فهذه وحدها هي الفلسفة الصحيحة.

إن المتأمل في قول أمير الشعراء العرب، وأحد عظماء فرنسا، يجد فيهما الكثير من العبر التي يتعين الاقتداء والعمل بها للحيلولة دون سيادة ثقافة النسيان والتنسية أو التناسي وما يترتب عنها من تشويه للتاريخ قد يصل إلى التكرار لصفحات خالدة من تاريخ الشعوب ونضالات وتضحيات رجالات عظام كان لهم الفضل في توجيه وقيادة شعوبهم نحو الأهداف المنشودة، وكان جزاؤهم السكوت على نضالهم في أحسن الحالات، والتكرار لهم في أحيان أخرى.

وبما أن الحركات التاريخية تتسم بالدينامية والقدرة على اكتشاف الطرق المؤثرة والوسائل الملائمة لتبليغ رسالتها والدعوة إليها والإدراك المبكر لطبيعة المتغيرات الجديدة الفاعلة في الأحداث المعيشة والمرتبقة، فإننا نعتبر أن الحركة الاستقلالية في الجزائر كحركة تاريخية تمكنت من استيعاب وفهم طبيعة مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وكان توجهها للمشرق العربي كاختيار استراتيجي. ولذلك فإنني وقبل محاولة التقرب من بعض

جوانب ذلك الانفتاح للحركة على الفضاء العربي أرى أنه لا بد من معرفة بعض المعطيات التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية دوليا وعربيا.

معطيات ما بعد الحرب العالمية الثانية:

إن الحروب بصفة عامة والكونية (العالمية) منها بصفة خاصة بالرغم من الوحشية التي تميزها من خلال ما يرتكب أثناءها من مجازر بشرية ودمار مادي (لا تسلم منه حتى الأماكن المقدسة والمعالم التاريخية)، فإن وجهها الآخر يتمثل فيما يترتب عنها من متغيرات ومعادلات إقليمية ودولية جديدة، وإن كانت ليست بالضرورة إيجابية دائما، فإنها ذات أثر واضح على الخريطة الإقليمية والدولية، فإذا كانت الحرب العالمية الأولى في مجال المعادلات التي أحدثتها مست بشكل أساسي القارة الأوروبية، ولم تتل منها قارتي آسيا وأفريقيا إلا تكريس لفلسفة الاستعمار وزيادة تكالب قواه في تقسيم ما تبقى من بقاع خارج إطار السيطرة الأوروبية، فإن الأمر بالنسبة للحرب العالمية الثانية لم يكن كذلك، فبانتهاؤها ظهرت على الساحة الدولية بوضوح أوضاع دولية جديدة أبرزها إنقسام العالم إلى قطبين إيديولوجيين سياسيين تتوسطهما شعوبٌ فاقدة لسيادتها سميت فيما بعد العالم الثالث، وهو العالم الذي أصبح مسرحا للصراع الإيديولوجي والتنافس المصلحي بين المعسكرين في إطار الحرب الباردة، تلك الحرب التي

قامت أساسا ، في المجال الثقافي، على حصر التحرك الثقافي في الثقافتين المتاحرتين، الرأسمالية والاشتراكية، مع إقصاء شبه كلي لثقافات شعوب العالم الثالث التي صنفت من طرف المعسكر الشرقي كثقافة رجعية، واعتبرت من طرف المعسكر الغربي ثقافات ميتة.

وإذا كان انقسام العالم إلى معسكرين بعد الحرب العالمية الثانية لم يبلغ حقيقة بقاء شعوب وأمم عديدة تعيش على هامش التاريخ وتخضع ثرواتها الباطنية والسطحية لتأمين رفاه القوى الاستعمارية المهيمنة باسم الاستيطان، الاستعمار، الانتداب، الحماية والوصايا إلى غير ذلك من المصطلحات التي تفتنت الدوائر الاستعمارية في توظيفها لفرض هيمنتها على الشعوب ونهب ثرواتها...فإن ذلك الواقع المفروض لم يمنع بروز مجموعة عربية تؤكد على الهوية العربية وتبحث لها عن مكان في الواقع الدولي الجديد وكانت الخطوة الأولى تأسيس الجامعة العربية.

الجامعة العربية أو جامعة الدول العربية:

بتاريخ 22 مارس 1945 تكونت جامعة الدول العربية⁽¹⁾ من الأقطار التالية: مصر، لبنان، المملكة العربية السعودية، اليمن، العراق وسوريا. وكان ظهور جامعة الدول العربية في تلك الفترة يعتبر بالنسبة للرأي العام العربي من أكبر الأحداث في تاريخ الأمة

العربية، خاصة وأن الأقطار المؤسسة للجامعة العربية كانت من الدول الأولى المؤسسة للأمم المتحدة في 24 أكتوبر 1945.

ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى معطى آخر يتعلق بالتحويلات التي حصلت في المشرق في نهاية الثلاثينات والتي جعلت من مصر مركزاً⁽²⁾ بالنسبة للمشرق العربي، بعد أن كانت قبل تلك الفترة بعيدة عن التأثير على مجرى الأحداث في المنطقة بالرغم من مكانتها في الثقافة العربية وأهميتها السياسية.

وإذا كانت خيبة المشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية واضحة فيما يتعلق بتصفية الاستعمار لكون الحلفاء لم يقدموا شيئاً ملموساً، فإن الأمر بالنسبة للمغرب العربي عامة والجزائر خاصة كان أدهى وأمر إذ انتهت الحرب العالمية الثانية في الجزائر بإرتكاب مجازر دموية في حق الجزائريين خلال شهر ماي 45 كانت نتيجتها إبادة عشرات الآلاف من الجزائريين العزل. وهي المجازر التي كان لها تأثيرها المباشر على سير الأحداث في علاقة الجزائريين بفرنسا وتصميمهم النهائي على الانتقال بالعمل النضالي إلى مرحلته الجهادية.

مجازر ماي 1945 ... والحسم في الإختيار الثوري:

كان لتلك المجازر وما سبقها وتلاها من مضايقات وممارسات بوليسية كالتوقيف والاعتقال وما يرافقهما من تعذيب جسدي ومعنوي، زيادة على عدم التمييز بين معتدل أو متطرف من

أعضاء مختلف التنظيمات السياسية والجمعوية، ودون التفريق أيضا بين شيخ أو فتى وبين طفل أو امرأة خلال عمليات الإبادة الجماعية التي ميزت أحداث ماي 1945.

وكان لتلك الممارسات، وغيرها، أثره المباشر بالنسبة لطبيعة العلاقة المستقبلية بين الإنسان الجزائري والإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي أصبح بعض غلاتها يعتقدون أن ما أقدموا عليه من بطش وتكيل بالجزائريين يعد ردعا كافيا لهم للاستسلام للأمر الواقع، ويعزفون عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التصادم مع الإدارة الكولونيالية وأدواتها القمعية. وإذا كان غلاة الاستعمار ذهبوا هذا المذهب، فإن عقلاءه كانوا يحثون على وجوب رأب الصدع باتخاذ جملة من التدابير والإجراءات قصد احتواء الحالة الثورية واجهاضها، وهي الحالة التي كشفت عنها مظاهرات ماي 1945 والشعارات التي رفعت خلالها، مما جعل منظري الاستعمار وساسته يميلون إلى ترجيح دعوى الإصلاح في محاولة منهم لتأمين مستقبل فرنسا في الجزائر بالإقدام على إدخال بعض الإصلاحات ذات الطابع الإداري - الاجتماعي - السياسي.

وكان واضحا أن تلك التسويات التي سعى بعض ساسة فرنسا القيام بها لم يكن من شأنها معالجة ذلك الشرخ الكبير الحاصل بين الطرفين والذي زادت مجازر ماي 1945 من تعميقه، وهو الشرخ القائم على الشك التام وعدم الثقة بفرنسا ووعودها

بسبب الاحباطات والخيبات المريرة التي ترسبت آثارها في ذهن الجزائري عبر عقود من الزمن ... وهو الأمر الذي يبدو أن تحليلات ساسة فرنسا ومنظريها لم تدركه، فقد كانت مجازر ماي 1945 سببا مباشرا للطلاق الواضح ليصبح بعده اتجاه العمل المسلح يكتسب جاذبية قوية في أوساط الجماهير والمناضلين على السواء. والجدير بالملاحظة في هذا الشأن أنه حتى قيادة حزب الشعب الجزائري يظهر أنها لم تكن على دراية تامة بالمتغيرات الحاصلة في التركيبة البشرية للحركة والنزعة إلى العمل المسلح التي تبلورت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وتعمقت أكثر بالأحداث التي جرت في ماي 1945.

التركيبة الاجتماعية لحزب الشعب الجزائري: الطبيعة والنتائج:

عرفت خلايا وقواعد حزب الشعب الجزائري خلال سنوات الحرب العالمية الثانية في ظل النشاط السري⁽³⁾ إقبالا كبيرا لجيل من المناضلين معظمهم يتقد حماسا ويعلن استعدادهم للانتقال للعمل المسلح، وذهب الكثير منهم خاصة في المدن الكبرى مثل مدينة الجزائر إلى تكوين خلايا وفروع تابعة لحزب الشعب الجزائري كثيرا ما كانت تنشط بعيدا عن إشراف القيادات الحزبية عليها. ويمكننا أن نستخلص من التركيبة البشرية التي عززت حزب الشعب الجزائري أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية وبعدها مايلي:

أ - التركيبة البشرية والثقافية:

1 - كانت الصبغة العمالية هي السمة الأساسية للتركيبة البشرية لحزب الشعب الجزائري إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية، فضلا عن تمركز أغلب منخرطيه في وسط العمال المهاجرين وفي فرنسا على الخصوص.

2 - باندلاع الحرب العالمية الثانية توسعت القاعدة الشعبية لحزب الشعب لمختلف الفئات المهنية والاجتماعية وطغيان عنصر الشباب إلى درجة أن صارت أغلبية منخرطي حزب الشعب الجزائري تتكون من الشباب.

3 - تعززت التركيبة الثقافية للحزب بإقبال الكثير من خريجي المدارس والجامعات على الإنتماء إلى صفوفه.

4 - لم تكن صفوف حزب الشعب الجزائري خالية من العناصر المكونة باللغتين العربية والفرنسية، أو وحيدى اللغة، وهو ما ظهر واضحا بعد الحرب العالمية الثانية من خلال بعض الوجوه الزيتونية وغيرها من العناصر ذات التكوين الثقافى العربى التقليدى التى تلقت تكوينها داخل الجزائر أو خارجها.

ب - الاتجاه الثوري:

إن المتتبع لنشاط التيار الوطنى الاستقلالى أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها يلاحظ بجلاء أن الفضل في قيادة الحركة في اتجاه الثورة يعود إلى ذلك الجيل من المناضلين الذين تجندوا في

صفوف الحزب خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وإثر مجازر ماي 1945 ليتحولوا إلى قوة ضاغطة ذات تأثير مباشر في سياسة الحزب واستراتيجيته.

في ظل تلك المعطيات كان على الحزب مواجهة التحديات الجديدة بمنهج ملائم، ولما كانت أصداء إنشاء جامعة الدول العربية تصل الجزائر وتستقبل بمزيج من التفاؤل والتساؤل، وكان التفاؤل المقرون بالتساؤل عن طبيعة الجامعة وأهدافها وغايات إنشائها يجد مسوغة في سببين رئيسيين:

- أولهما: لم يكن لحزب الشعب الجزائري المعلومات الكافية عن المشرق العربي والقوى السياسية الناشئة فيه لضعف الصلة إن لم نقل انتفاؤها بتاتا بين الحزب والمشرق.

- ثانيهما: كون رئيس الحزب مصالي الحاج كان وقتها منفيا في الكونغو وهو الذي يمكنه البت في مسألة التفاعل من عدمه مع الجامعة⁽⁴⁾ وما يترتب على ذلك من نتائج خاصة بالنسبة لتحالفات الحزب وفضاءات نشاطه التقليدية⁽⁵⁾، وفي علاقته بالإدارة الإستعمارية التي سلطت عليه منذ نشأته مختلف أنواع الضغط وفي مقدمتها الحل المتكرر والسجن المتواصل لقيادته وأعضائه.

ورغم تلك الإعتبارات فإن المتغيرات الحاصلة على الساحة الإقليمية والدولية كانت تؤكد لقيادة الحركة أن التحليل الصائب للأوضاع يؤدي إلى وجوب إضافة بُعد قديم -جديد في

نشاط الحركة وهو البعد العربي من خلال التفتح على الفضاء العربي.

- الفضاء العربي : اختيار استراتيجي:

لم يكن للتيار الوطني الاستقلالي إلى غاية انتهاء الحرب العالمية الثانية شبكة اتصال أو مكاتب تمثيل في المشرق، فإذا ما استثنينا الاتصالات التي تمت بين شكيب أرسلان ومصالي الحاج خارج الرقعة العربية في سويسرا - بالتحديد وكذا اتصاله (أي مصالي) ببعض الوطنيين السوريين⁶ وبعض المثقفين والمناضلين العرب في فرنسا وبعض البلدان الأوروبية، فإنه ليس في حوزتنا ما يفيد وجود نشاط للتيار الوطني الاستقلالي في أقطار المشرق.

ولذلك فإنه يمكننا القول أن الإتصال الفعلي بالمشرق تم إثر الحرب العالمية الثانية، وبعد إطلاق سراح مصالي الحاج، ومرد ذلك الإتصال بعدة مراحل يمكننا حصرها في ثلاث:

أ - التحسيس والتعريف بالوضع في الجزائر: 1945 - 1947

على الرغم من أن الشاذلي مكي حل بمصريوم 20 أكتوبر 1945⁷ ليستقر هناك فإن النشاط الفعلي إزاء المشرق كان خلال شهر أوت 1946 بعد أن أخلي سبيل مصالي من منفاه ببرازافيل ليحل بفرنسا وكانت مفاجأته كبيرة لما وجد عليه الحزب من وضع إيجابي عبر عنه بقوله "عند حلولي ببافيس، في أول أوت 1946، وجدت وضعية جديدة تماما، مناضلون جدد، مع

حركة وطنية في تطور، في فرنسا مثلما في الجزائر" ⁽⁸⁾ وكعادته، فإن مصالي بمجرد حلوله بباريس شرع في اتصالاته بالشخصيات السياسية الفرنسية.

وإذا كان ذلك أمرا معتادا من مصالي، فإن، الجديد في تلك الاتصالات هو ذلك اللقاء الذي جمعه بالسيد عبد الرحمان عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية ⁽⁹⁾ الذي كان في زيارة لباريس.

وقد كان ذلك الاتصال مثمرا إذ أن عزام باشا أعلن في شهر أكتوبر 1946 تأييده للمغرب العربي بقوله: "إن شعوب شمال إفريقيا هي شعوب عربية، نحن نطالب من أجلها ما نطالب به من أجل كل الشعوب: الحرية والحق في تقرير المصير. ⁽¹⁰⁾

وتعزيزا لذلك الاتجاه وقصد تحسيس الرأي العام العربي ⁽¹¹⁾ والأمراء والملوك والرؤساء العرب بحقيقة الوضع في الجزائر، فإن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ومنذ تأسيسها اتجهت إلى المشرق العربي من خلال مصر دون أن تتخلى عن الفضاء المغربي والأوروبي الذي كانت قد اكتسبت فيه مراكز معتبرة.

وعلى الرغم من أن تمثيل حركة الانتصار في مصر في البداية كان تمثيلا رمزيا تمثل في شخص الشاذلي مكي فإن هذا الأخير بذل جهودا اعلامية وثقافية معتبرة مستعملا في ذلك مختلف

وسائل الاتصال وفي مقدمتها الكتابة الصحفية بصفته "سكريتيير حزب الشعب ومندوب الجزائر في الشرق العربي".

ومن أهم الوثائق والمراسلات التي قدمتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى الجامعة العربية تلك المذكرة التي أرسلها حزب الشعب الجزائري إلى الجامعة العربية حول مجازر ماي 1945 والمؤرخة في 20 أكتوبر 1946 والتي وجهت إلى الدورة الرابعة لمجلس الجامعة العربية (أكتوبر 1946) وإلى الأمين العام للجامعة العربية السيد: عزام باشا.

ولما كانت المذكرة طويلة ، فإننا نقتصر على عرض موجز لمضمونها من خلال العناصر الأساسية التي تضمنتها والمتمثلة فيما يلي:

- التأكيد على الشخصية العربية للجزائر والإشادة بشخص مصالي الحاج كباعث للوطنية الجزائرية ... استنكار الحواجز التي تقيمها فرنسا للحيلولة دون اتصال التيار الاستقلالي بالمشرق العربي مما أدى إلى عدم معرفة هذا الأخير لكفاح الشعب الجزائري.

- اعتبار وجود الحزب في مصر خطوة تليها خطوات لتجطيم السدود المقامة بين الجزائر والمشرق.

- التذكير بالمقاومة الشعبية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر وما كان من نتائج لعدم اكتراث بعض أمراء وملوك

- العرب للنداءات التي وجهها الأمير أثناء النكبة التي حلت بالجزائر لتمتد أثارها وتشمل معظم الأقطار العربية.
- التأكيد على تشابه المسألة الجزائرية مع المسألة الفلسطينية من حيث خطر الفناء والزوال.
- التأكيد على المصير الواحد لأقطار المغرب العربي ووحدة قضيته وهدفه. وعند الانتقال إلى الوضع الثقافي والاجتماعي في الجزائر حرصت المذكرة على إبراز ما يلي:
- استمرار اعتبار الإدارة الاستعمارية اللغة العربية لغة أجنبية والتضييق على تعليمها الحر وضالة نسبة المتدربين من الجزائريين في التعليم الفرنسي الرسمي في مختلف مراحلها.
- سيطرة الإدارة الاستعمارية على المساجد والأوقاف وإدارة وتنظيمها وتوجيهها.
- حصر القضاء الإسلامي في شؤون الزواج والطلاق والميراث وحتى هذه المجالات لم تسلم من تدخل الإدارة بواسطة القرارات المناقضة للشريعة والفقه الإسلامي.
- تفجير عامة الشعب وتفشي الأوبئة والنزوع -المتعمد - إلى نشر الآفات الاجتماعية.
- تقسيم الشعب باعتماد سياسة "المشاركة أو الوطنية المشتركة" التي بمقتضاها يمكن لنسبة ضئيلة من الجزائريين

ذوي المؤهلات العلمية التمتع بمزايا لا تتمتع بها الأكثرية الساحقة من الجزائريين.

- التنبيه إلى أن الذين سقطوا في ماي 1945 لم يسقطوا تكالبا عن الفرنسية ولا عن المقاعد في البرلمان الفرنسي، وإنما دفاعا عن القومية (الوطنية) وتمسكا بأن تبقى الجزائر مسلمة عربية كما استلمناها من أجدادنا البواسل على حد تعبير المذكرة التي خلصت إلى إعادة التأكيد على الهوية العربية للجزائر وإصرارها على النهوض من جديد باللجوء إلى العنف الثوري، وهو ما يستشف مما تضمنته خلاصة المذكرة خاصة ما يلي:

- التذكير بأن، الجزائر كانت قبل الاحتلال الفرنسي دولة عربية مستقلة تتمتع بكامل السيادة وكانت سيدة البحر الأبيض المتوسط، وأن الاتصال بتركيا كان يقوم على أساس ديني أكثر منه سياسي فالخلافة في ذلك العهد كانت في نظر الناس "هي ظل الله في أرضه".

- تنفيذ الإدعاءات بأن فرنسا أقدمت إلى الجزائر بقصد التمددين والتهذيب.

- التأكيد على الاستقلال التام ورفض مشروع الاتحاد الفرنسي وكل إصلاح من شأنه إبقاء الجزائر مستعمرة.

- التلميح الصريح إلى إمكانية الانتقال للعمل المسلح من خلال

ما يلي:

".....وليس من شك عندنا في أن هؤلاء الذين اعتنقوا مبدأ
السيادة لكل الشعوب قد لفت نظرهم الشعب الجزائري الذي
كان من أوائل الأقطار والأمم التي بليت بالاستعمار، ولا سيما بعد
التضحيات الجسمية التي قدمها على مذبح الحرية في هذه الحرب
الأخيرة، وفي التي قبلها، وإننا إذا كنا قد دافعنا عن غيرنا بدمائنا
فإننا لا نتردد أبدا في بذل هذه الدماء مرة أخرى في سبيل أوطاننا
وحريتنا واستقلالنا"⁽¹²⁾ واختتمت المذكرة بطلب مساعدة
الجامعة -دون تحديد طبيعة المساعدة - لبلوغ هدف الإستقلال.

ويمكننا أن نلاحظ على المذكرة ما يلي:

- لم تركز المذكرة على المجازر المرتكبة في حق الجزائريين
بين خلال شهر ماي 1945 بالرغم من أن عنوانها يوحي بأنها
خاصة بتلك المجازر.

- خلافا لذلك فإن التأكيد على الهوية العربية للشعب
الجزائري والثقافة العربية أخذ قسطا كبيرا من المذكرة دون
ربطه بأي طرح وحدوي أو قومي.

- احتلت مسألة الجهاد والنضال الجزائري ضد الوجود
الاستعماري من أجل استرجاع السيادة حيزا معتبرا.

- تأكيد المذكرة على أهمية الاتصال بالشرق ووجوب اهتمام هذا الأخير بالوضع في الجزائر.

تلك العناصر وغيرها جعلنا نقول إن المذكرة كان هدفها الأساسي تحسيس الجامعة العربية بطبيعة الصراع في الجزائر وحقيقة الوضع وهي الحالة التي يبدو أن المشرق كان يجهلها. وهو ما جعل ممثل حزب الشعب الجزائري الشاذلي مكي يكثف من نشاطاته واتصالاته ليتمكن من تمثيل حزب الشعب الجزائري في تلك المبادرة الهادفة إلى إنشاء أول إطار مغاربي بالقاهرة في جانفي 1947 "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" التي ضمت الحزب الدستوري التونسي الجديد ممثلا في شخص بورقيبة وحزب الإستقلال المغربي ممثلا في شخص أحمد عبد المالك وحزب الشعب الجزائري ممثلا في شخص الشاذلي مكي.⁽¹³⁾

وقد سبق ورافق تقديم تلك المذكرة تحسيس إعلامي واسع للتعريف بالقضية الجزائرية وبالحركة الاستقلالية وقائدها مصالي الحاج، نذكر من ذلك بيان من حزب الشعب الجزائري التي نشرته جريدة "برقة الجديدة" بعدد شوال 1365 - 20 سبتمبر 1946، وتضمن الحديث عن نضال مصالي الحاج وإطلاق سراحه (عودته من المنفى).

كما تناولت مجلة (الوحدة العربية) سنة 1946 في عدد خاص التعريف بشخص مصالي الحاج (كان المقال مرفقا بصورة لمصالي) رئيس حزب الشعب الجزائري.

ولم يقتصر الإهتمام بالقضية الجزائرية على الصحف المصرية مثل مجلة "الوحدة العربية" و"مصر الفتاة" وأسبوعية "الرسالة" بل إن الإهتمام امتد ليصل إلى باقي الصحف المصرية والعربية مثل: "الجهاد العربي"، "الجزيرة"، "البلاد"، "النهضة"، "المنار"، "جريدة البعث"، "القبس"، "عالم الغد"، "برقة الجديدة"، "Le progrès Egyptien" وغيرها من اليوميات والمجلات التي فتحت صفحاتها لأقلام جزائرية في مقدمتها الشاذلي مكي⁽¹⁴⁾ وبعض الأقلام العربية التي عرفت بالقضية الجزائرية خاصة والمغاربية عامة وطبيعة الصراع في المنطقة.

ولما كانت القضية الفلسطينية في تلك الفترة تحتل أهمية خاصة لدى الرأي العام العربي وأوساطه الرسمية، فإن حزب الشعب الجزائري ومن منطلق وعيه بالمخاطر التي تهدد الكيان الفلسطيني ربط الوضع في فلسطين بالوضع في الجزائر حيث عمد إلى تعبئة مناضليه وال جماهير الشعبية للوقوف ضد المؤامرة وفضح مشروع تقسيم فلسطين، فكتبت جريدة "الأمة" (El-Ouma) :

"لقد أدان الجزائريون السياسة الإمبريالية الإنجليزية المطبقة في فلسطين العربية وصمدوا بقوة ضد مشروع تقسيم فلسطين

العربية ... ودعوا جميع مسلمي الجزائر إلى الإحتجاج ضد مشروع التقسيم مطالبين بالإستقلال التام لفلسطين العربية.⁽¹⁵⁾

ولم يتوان حزب الشعب في تعبئة المناضلين والجماهير لنصرة القضية الفلسطينية بالمشاركة الميدانية في العمليات الحربية إذ دعا أحمد مزغنة لإنشاء الهيئة العليا لإغاثة فلسطين وأرسل من الجزائر علنا متطوعين شاركوا في حرب 1948 إلى جانب العرب كما شن الحزب حملة تعبئة بفرنسا حول القضية الفلسطينية أدت إلى تشكيل "لجنة شمال إفريقيا" للتضامن والتعاون مع الضحايا العرب في فلسطين، وكان ذلك في باريس سنة 1948.⁽¹⁶⁾ وإثر اعتراف منظمة الأمم المتحدة بالكيان الإسرائيلي لم يتأخر التيار الوطني الإستقلالي في التعبير عن رفضه للمنحى الذي أخذته القضية وتواطؤ القوى العظمى فعبرت حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية عن احتجاجها بشدة وأمضت بيان احتجاج رفقة حزب الإستقلال المغربي والدستور الجديد التونسي وجه إلى السلطات الفرنسية.

وإذا كانت القضية الفلسطينية سمحت للتيار الوطني الإستقلالي بالتعرف أكثر على الواقع العربي وتمكن من التعريف بنفسه لدى الأوساط المشرقية، فإنه اكتشف من جهة أخرى، ومن خلال التعامل العربي مع القضية الفلسطينية غياب استراتيجية صراع وضعف واضح في توحيد النضال من أجل الإستقلال فتبنى

الدعوة إلى التضامن العربي مع التركيز على ضرورة دعم المشرق للمغرب من أجل الانتقال بالحالة الثورية السائدة في المغرب العربي إلى عملية ثورية تحررية، وبذلك دخل انفتاح الحركة على المشرق العربي مرحلته الثانية:

ب - اعتبار المشرق فضاء حيويا للنضال المغربي 1947 - 1951

سبق وأشرنا إلى أن أول اتصال بين الحركات الوطنية المغربية، إثر الحرب العالمية الثانية، كان بمبادرة من حزب الشعب الجزائري، وبما أن اللقاءات المغربية بين الحركات الإستقلالية كانت قبل الحرب العالمية الثانية تتم أساسا في فرنسا وقليل ما تكون في أقطار المغرب العربي ... فإن المعطى الجديد على الساحة العربية المتمثل في وجود جامعة الدول العربية، والانفتاح الأولي الذي عرفه التيار الإستقلالي على المشرق كان بداية لاختيار استراتيجي وجيو - سياسي جديد كانت فاتحته كما أشرنا تكوين "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" في جانفي 1947، وهي المبادرة التي سرعان ما تحولت إلى البحث في صيغة أقوى وأشمل. واعتبارا لكون حزب الاستقلال المغربي كان ينسق نشاطه مع حزب الاصلاح المغربي فقد اتفقا ممثلو هذين الحزبين مع الشاذلي مكي ممثل حزب الشعب الجزائري بالقاهرة، وممثل الحزب الدستوري التونسي، على أن يعقدوا "مؤتمرا عاما لدراسة شؤون المغرب العربي والبحث عن أنجع الوسائل لتنسيق الأعمال وتوحيد المكاتب في

الخارج، وإظهار التضامن المغربي بالمظهر اللائق به لخدمة القضية التحريرية وتبيين أهدافها".⁽¹⁷⁾

وانعقد المؤتمر تحت الرئاسة الشرفية للسيد عبد الرحمان عزام باشا، وأسندت الأمانة العامة للمؤتمر للسيد عبد الكريم غلاب (من المغرب الأقصى)⁽¹⁸⁾ وقد روعي في المؤتمرين، أن يكونوا ممثلين لحركة من الحركات القائمة في الأقطار المغاربية بغية إعطاء المؤتمر صبغته الاجتماعية التي تمنح قراراته قوة "تأييد الأحزاب برمتها"⁽¹⁹⁾ وبذلك فقد جمع المؤتمر ممثلين من حزب الشعب الجزائري ومثلت تونس بواسطة مكاتب الحزب الدستوري الحر في القاهرة ودمشق، أما مراكش فقد مثلتها "رابطة الدفاع عن مراكش"، وهي رابطة خاضعة لحزب الإستقلال، ومعها الوفد المراكشي لدى لجان الجامعة.⁽²⁰⁾

وقد حضر المؤتمر إلى جانب مندوبي الأحزاب المغاربية "جمع كبير من رجال العرب وزعماء الشرق"⁽²¹⁾ وجرى الأشغال في ست جلسات افتتحت أشغال المؤتمر يوم 15 فيفري لتتوج يوم 21 فيفري 1947.⁽²²⁾

ولما كانت توصيات المؤتمر عديدة، فإننا نكتفي، هنا بذكر ما يتصل بعلاقة المغرب العربي بالجامعة العربية، إذ جاء في التوصيات ما يلي:

- مطالبة الجامعة العربية بإعلان بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على تونس ومركش، وإعلان عدم شرعية احتلال الجزائر، وتقرير استقلال هذه الاقطار مع تعيين ممثلين عنها في مجلس الجامعة.

- عرض القضية المغربية على الهيئات الدولية واستعمال كل ما لدى الجامعة من وسائل لمساعدة الاقطار المغربية على تحقيق استقلالها الكامل.

- إرسال لجان تحقيق إلى أقطار المغرب العربي.

- تعيين ممثلين في أقطار المغرب العربي للدول المشتركة في الجامعة.

- عرض الحالة الثقافية بالمغرب العربي على الجامعة العربية ومطالبتها بالعمل على نشر الثقافة العربية في كامل بلاد المغرب، وحل مشكلات الطلاب المغاربة الذين يلجأون إلى المشرق بقصد إتمام دراستهم في المعاهد العربية وتذليل العقبات التي يلاقونها⁽²³⁾

وقبل الجلسة الختامية قرر المؤتمر تكوين مكتب متحد يسمى "مكتب المغرب العربي" يتشكل من المكاتب المغربية في مصر، ويتكون كالآتي: رابطة الدفاع والوفد المراكشي لدى لجان الجامعة عن المغرب الأقصى، مكتب حزب الشعب الجزائري عن الجزائر ومكتب الحزب الدستوري الحر عن تونس. ومن خلال تركيبة لجان المؤتمر تتبين لنا الحقيقية التالية:

لم يكن حزب الشعب الجزائري ممثلاً في أشغال المؤتمر بعناصر قيادية ومناضلين معروفين ومتمرسين⁽²⁴⁾ وهو ما جعل الشاذلي يمثل الحزب في لجنتي :

1 - مكاتب المغرب العربي والدعاية في المشرق.

2 - لجنة السياسة الإستعمارية في بلاد المغرب.

أما لجنة العلاقات مع الجامعة العربية والمنظمات الدولية فقد مثلت فيها الجزائر (حزب الشعب) بالمدعو الطاهر بن صالح ، في حين أن اللجنة الرابعة (لجنة تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب العربي وارتباطها بالحركات في المشرق) لم يكن ضمن تشكيلتها ممثلاً لحزب الشعب الجزائري.

وكان واضحاً ضعف تمثيل حزب الشعب الجزائري نوعياً وعددياً لحدثة عهد التمثيل في المشرق وهو الأمر الذي تم تداركه لاحقاً (في المرحلة الثالثة).

ولم يفت المستوطنون والإدارة الاستعمارية التنبه إلى خطورة التوجه الذي كان يدعو له مكتب المغرب العربي من القاهرة ، وهو ما جعل إحدى المجلات الفرنسية "مجلة فرانس" تصفه (أي مكتب المغرب العربي) بقولها إنه: "أصبح امتداداً نوعياً من امتدادات الجامعة العربية أو قسماً مكملها".

وهو ما كانت جريدة " Le Monde " الفرنسية بدورها نبهت لخطورته فتحت عنوان جبهة ثلاثية من تونس والجزائر ومراكش

نقلت جريدة "الأخبار" في عددها الصادر يوم 1 ذي القعدة 1365 عن جريدة "لوموند" قولها: "إن اهتمام الجامعة العربية بشعوب المغرب لم ينشأ فقط عن طبيعة الأمور فإن الشاذلي المكي وأصدقائه لا يبرحون غرفة انتظار عزام باشا كل يوم تقريبا، ويترددون على جميع المفوضيات العربية والمقامات الأخرى في القاهرة ويغذون الصحف بأخبار إفريقيا الشمالية ويثيرون حماسة الرأي العام العربي ويرفعون العرائض إلى رؤساء الدول المجتمعين في أنشاص وإلى مجلس الجامعة العربية الذي اجتمع في بلودان وقضى أربع ساعات كاملة في دروس (كذا) مشاكل إفريقيا الشمالية" وتحذر جريدة "لوموند" في نفس المقال بالتأكيد على أنه "إذا سار الدستوريون وراء الشاذلي المكي في دعوته إلى العنف فمن المحتمل أن تقع اضطرابات خطيرة في حالة نفاذ صبر البلاد..." ويجد ذلك التخوف مبرره في الواقعتين التاليتين:

المحاولة الفاشلة لتهريب مصالي:

إذا كانت وسائل الإعلام الفرنسية رأت في تكوين مكتب المغرب العربي تحت رعاية الجامعة العربية أمرا خطيرا يجب التصدي له فإنه يبدو أن مستوى تمثيل حزب الشعب الجزائري في مؤتمر المغرب العربي ثم في المكتب المنبثق عنه لم يكن في مستوى تمثيل الحركتين التونسية والمغربية وهو ما جعل فكرة تهريب مصالي الحاج من الجزائر إلى مصر تطرح نفسها بحدة لتتحول إلى

مشروع بدأ التفكير في تجسيده من خلال تطوع أمير مصري يدعى "عمر حليم" الذي تحت ذريعة القيام بنزهة إلى الجزائر استقل طائرته الخاصة ذات اللون الأخضر - لون علم النبي ليحط في عنابة يوم 16 جوان 1947، وفي اليوم الموالي توقف في مطار الجزائر، وكانت المحطة المقبلة معسكر^(*) أين تم تحديد موعد مع مصالي لتفريبه⁽²⁵⁾ لكن السلطات الفرنسية أجبرت الأمير عن الرحيل من الجزائر وفشلت بذلك عملية تهريب مصالي إلى مصر وما كان قد يترتب عليها من نتائج في علاقة الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة بفرنسا.

- تهريب عبد الكريم الخطابي:

وإذا كانت محاولة تهريب مصالي الحاج فشلت فإن الأمر بالنسبة لأحد عظماء المغرب العربي لم يعرف نفس المصير، ونعني بذلك، تهريب "الأمير عبد الكريم الخطابي وهو ما زاد من اهتمام الرأي العام العربي والدولي بمكتب المغرب العربي للدور الذي لعبه في تأمين هروب الأمير عبد الكريم الخطابي الذي كان منفيا في مدغشقر وتقرر نقله سنة 1947 إلى فرنسا في سفينة تعبر قناة السويس، وبمجرد حلولها "السفينة تاكومبا" Tacomba بالمياه المصرية على بعد ثمانية أميال من مدينة السويس، صعد إليها محمد بن عبود (المغربي) رفقة مسؤولين مصريين بتكليف من عزام باشا وعند حلول السفينة بميناء السويس نظمت للأمير ندوة صحفية

وكان بن عبود بالتنسيق مع المصريين ارتدى في السفينة زيا مغربيا واندمج في وسط مرافقي الأمير من أسرته وإخوته وكان عددهم 22 فردا إضافة إلى نعش والدته الأمير التي توفيت في المنفى وطلبت منه أن تدفن في إحدى البلاد الإسلامية وعند حلول السفينة ببور سعيد تم تهريب الأمير وطلب اللجوء السياسي في مصر فكان له ذلك⁽²⁶⁾ وأما رفاة والدته فقد دفن في تونس بعد اتصالات مصرية - فرنسية.⁽²⁷⁾ ويعد من المؤكد أن دور مكتب المغرب العربي في التنسيق مع السلطات المصرية والأمن العام للجامعة العربية في تهريب الأمير عبد الكريم الخطابي، كان دورا أساسيا.

وبنجاح عملية هروب الأمير عبد الكريم الخطابي وقبول السلطات المصرية منحه حق اللجوء السياسي تحولت مصر إلى محطة أساسية لطرح قضايا المغرب العربي والتخطيط لمستقبله، فقد شرع الأمير عبد الكريم الخطابي من خلال اتصاله بمكتب المغرب العربي في التحضير لعمل مغربي وهو ما أدى إلى إعلانه يوم 5 جانفي 1948 على إنشاء "لجنة تحرير المغرب العربي" التي تكون مكتبها المؤقت من السادة:

- الرئيس: محمد بن عبد الكريم الخطابي.
- وكيل الرئيس: امحمد بن عبد الكريم الخطابي.
- الأمين العام: الحبيب بورقيبة.
- أمين الصندوق : محمد بن عبود.

وكانت تشكيلة مكتب لجنة تحرير المغرب العربي تؤكد من جديد ضعف الوزن التمثيلي لحركة الإنتصار في مصر بالرغم من أنها كانت أقرب إلى طروحات الأمير الخطابي الداعية إلى السعي إلى جمع كلمة الزعماء وتحقيق الإئتلاف بين الأحزاب الاستقلالية في كل من مراکش، الجزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من ربة الاستعمار⁽²⁸⁾.

لكن الحركة لم تحظ بالتمثيل في مكتب اللجنة بالرغم من أنها ممثلة في شخص الشاذلي مكي والصادق السعدي⁽²⁹⁾ اللذان امضيا ميثاق لجنة تحرير المغرب.

وكان عمل لجنة تحرير المغرب العربي ومكتبه عملا دعائيا إذ سعى المكتب لفتح فروع له في الدول العربية والأجنبية من ذلك مكتب دمشق ومكتب بغداد ومكتب نيويورك ومكتب باريس ومكتب لندن.

وعلى الرغم من ضعف التمثيل في الهيئات المذكورة فإن ما كانت تركز عليه حركة الإنتصار في تلك الفترة هو الدعوة إلى إعداد مخطط عسكري مغاربي وسبر إمكانيات التزود بالأسلحة من طرف الجامعة العربية وهي الوجهة التي عبرت عنها اللجنة المركزية لحركة الإنتصار في دورة زدين 1948.

وتطبيقا لقرارات اللجنة المركزية أرسل ممثلا من الحزب إلى القاهرة في سبتمبر - أكتوبر 1949 لمباحثة إمكانية التزود

بالأسلحة، وكذا معرفة مدى استعداد البلدان العربية والجامعة العربية للدعم والمساندة عند وقوع حركة تحريرية بالجزائر ... وهنا صرح عزام باشا للدكتور الأمين دباغين مبديا تحفظه من خلال قوله: "لدي الثقة التامة بأن المغرب العربي والمغاربة سيتمكنون من التحرر من الإستعمار كما سيساهمون بمثلهم في تحرير شعوب الشرق الأوسط".⁽³⁰⁾

ولم يكن ذلك الإتجاه الثوري من حركة الإنتصار يجد التجاوب الكافي من حركتي الإستقلال والدستوري اللتان أظهرتا نزعة تفاوضية مما جعلهما يعملان على تهميش الشاذلي مكي في مكتب المغرب العربي، الأمر الذي أدى إلى إعلان انسحابه من عضوية المكتب لائما أعضاءه بأنهم يهملون الجزائر وممثلها في نشاطات المكتب. ورافق ذلك التحول اكتشاف المنظمة الخاصة في الجزائر "مارس 1950" مما هز حركة الإنتصار داخليا ودفعها أكثر للتوجه نحو المشرق العربي عامة ومصر خاصة، وبذلك بدأت مرحلة جديدة متميزة وهو ما يجعلنا نصفها بمرحلة:

ج - الفضاء التكاملي والحليف الموضوعي: 1951- 1954

إذا كان التيار الوطني الإستقلالي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإلى غاية 1951 ركز في انفتاحه نحو المشرق على مهمتين أساسيتين أولهما التعريف بطبيعة الصراع في الجزائر وحقيقة الوضع والتصدي لكل أوجه التشويه، وثانيهما نقل

التنسيق المغربي مكانا وأهدافا أي من فرنسا إلى المشرق ،ومن النضال المطلبى الى الدعوة إلى العمل المسلح والإعتماد على المساعدة العربية.... فإنه بحلول سنة 1951 انتقلت الحركة إلى رؤية جديدة في تعاملها مع المشرق معتبرة إياه حليفا موضوعيا ، فبعد أن كانت العناصر القيادية تختار منفى لها في حالة الضرورة خارج الرقعة العربية ، أصبحت مصر ملجأ للعناصر القيادية المطاردة من طرف السلطات الفرنسية ، وهكذا فقد حل محمد خيضر بالقاهرة يوم 5 جوان 1951 وفي نفس السنة التحق آيت أحمد بالقاهرة ليلتحق بهما أحمد بن بلة بعد هروبه رفقة محساس من سجن البليدة . وكان ابن بلة يتولى المسائل العسكرية لتكوين الفدائيين وتوجيه السلاح ، في حين تولى آيت أحمد مهمة الناطق الرسمي بإسم حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية في الندوات المعادية للإمبريالية .

وكانت نقطة التحول تتمثل في تلك الزيارة العملية التي قادت مصالي الحاج ابتداء من شهر سبتمبر 1951 إلى المملكة العربية السعودية حيث أدى فريضة الحج وتحادث مع ملك السعودية بشأن القضية الجزائرية ، ومن السعودية انتقل إلى القاهرة حيث التقى في شهر أكتوبر 1951 مع الأمين العام لجامعة الدول العربية وعبد الكريم الخطابي وغيرهما من الشخصيات وهو ما قال بشأنه: "...بعد تأدية الفرائض في الأرض المقدسة والإنتهاء من الحج

إلى مكة زرت القاهرة، وهنا خصصت وقتي كله للتعريف بالمشكل الجزائري بجميع مظاهره سواء لقادة الجامعة العربية أو لممثلي البلدان العربية الإسلامية وحرصت على الخصوص على توضيح الطموحات العميقة للشعب الجزائري وشرحت لمحدثي العديدين جميع أوجه المسألة وألححت خاصة على المساعدة المعنوية التي ننتظرها منهم".⁽³¹⁾

وتتفق معظم المصادر على أن مصالي حقق الكثير خلال تلك الزيارة، ففضلا عن تبادل الآراء بشأن قضايا المغرب العربي، تمكن من الحصول على وعود بالوقوف إلى جانبه، ماديا وسياسيا في التحضير للعمل الثوري، من طرف قادة الدول العربية ومسؤوليها الذين فاتحهم في الموضوع، وفي مقدمة تلك الوعود استقبال مناضلين من الحزب للتدرب في المدرسة العسكرية بالقاهرة.

ومما يزيد من أهمية تلك الزيارة أنها جاءت سنة كاملة بعد حصول جامعة الدول العربية على قرار من الأمم المتحدة يتضمن قبول جامعة الدول العربية كعضو مراقب وتطبيقا لذلك دعي الأمين العام لحضور جلسات الجمعية العامة في شهر أكتوبر 1951.

وبما أن الجمعية العامة للأمم المتحدة كانت ستعقد في باريس فإن مصالي الحاج وبالاتفاق مع عزام باشا وصلاح الدين وزير خارجية مصر قطع رحلته في المشرق وانتقل من القاهرة إلى باريس استجابة لطلب المسؤولين المذكورين اللذان قالوا له إن هذه

المبادرة موجهة لتقديم دعم للبلدان العربية وفلسطين^(*) أمام الأمم المتحدة.⁽³²⁾

وعن هذه الواقعة يذكر وحيد الدالي قوله: لقد اتصل عزام بزعماء الجالية التونسية والجزائرية والمغربية وكذلك الجمعيات العربية الأخرى التي لها نشاط في فرنسا، وهي كثيرة ولها نفوذ كبير في الأوساط العمالية، إذ يبلغ عدد العمال العرب من شمال إفريقيا فقط الذين يعملون في المصانع الفرنسية وبالأخص السكك الحديدية أكثر من نصف مليون عربي، استطاع عزام أن يتصل بهم بواسطة زعمائهم الوطنيين وفي مقدمتهم "مصالي الحاج" الزعيم الجزائري الكبير الذي كان محدد الإقامة في إحدى المدن الصغيرة في ضواحي باريس، فقد زاره عزام واتفق معه على أن يعمل الترتيبات لحشد أكبر عدد من العرب في مظاهرة تتجمع في مكان انعقاد الجمعية العامة أثناء مناقشة قضايا استقلال تونس ومراكش.... وأثناء المناقشات داخل القاعة كانت المظاهرات العربية المحتشدة في خارج مقر الأمم المتحدة تصم الأذان مطالبة باستقلال تونس ومراكش.⁽³³⁾

وقد كانت زيارة مصالي للمشرق وتنظيمه لذلك التجمع أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قد جعلاً منه الرجل السياسي الأكثر شهرة في الوطن العربي.

وبحلول سنة 1952 أخذت الأحداث منحى آخر على الساحة العربية إذ وصل الضباط الأحرار في مصر للسلطة إثر حركة 23 يوليو 1952 واندلعت المقاومة في كل من تونس والمغرب ضد الوجود الإستعماري وبذلك فقد أصبحت القاهرة بالنسبة للحركة الوطنية المحطة الأساسية في اتصالاتها وعلاقاتها الدبلوماسية مع العالم، وهو ما عبرت عنه قرارات المؤتمر الثاني لحركة الانتصار (4-6 أفريل 1953) عند تناولها للنشاط السياسي الدولي بنصها على ما يلي "إن الكتلة العربية - الآسيوية تمثل ظاهرة بارزة على الساحة الدولية، ونظرا لأهميتها واهتمامها بقضايا شمال افريقيا التي تتفاقم يوما بعد يوم، أصبحت هذه الكتلة أفضل وأهم سند خارجي لنا".

وفي نفس السياق وتأكيدا لأهمية الدور العربي فقد وجه خيضر إثر المؤتمر المذكور وبصفته رئيس الوفد الجزائري في القاهرة مذكرة إلى اللجنة السياسية للدول الأعضاء في جامعة الدول العربية أشار فيها باسم حركة الانتصار بأن الوضع في المغرب الأقصى وتونس لا يجب أن يحول دون النظر إلى قضية الجزائر وما يجري فيها مؤكدا على أن الجزائريين يطالبون بنشاط سياسي عربي وآسيوي يهدف إلى تدوين قضيتهم وتسجيلها في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة، خاصة بعد عرض القضيتين المغربية والتونسية".

وفي هذا الاتجاه كانت التحضيرات والاتصالات جارية لإعلان الثورة التحريرية التي من ضمن ما جاء في أول بيان صادر عن الداعين لها فيما يتعلق بالموقف المرتقب (عربيا) قوله: "قضيتنا التي ستجد سندها الدبلوماسية خاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين" بيان أول نوفمبر 1954. وكانت تلك الاتصالات والتصريحات والنصوص حول طبيعة العلاقة بين التيار الوطني الاستقلالي والمحيط العربي تؤكد حقيقة تطور العلاقة بين الطرفين والإدراك التام لطبيعة الصراع وأهمية البعد العربي للحركة الاستقلالية في نضالها ضد الوجود الاستعماري وهو ما تؤكد ميدانيا خلال سنوات الثورة التحريرية التي وجدت كل الدعم والمساندة من شعوب وقادة الدول العربية ماديا ودبلوماسيا وسياسيا إلى غاية تحقيق الهدف المعلن في بيان الفاتح نوفمبر: الاستقلال الوطني.

الهوامش

1 - كثيرة هي التحفظات التي سجلها الدارسون لخلفيات تأسيس جامعة الدول العربية والدور الانجليزي في ذلك، وما زال موضوع نجاح أو فشل الجامعة العربية كمنظمة إقليمية محل جدل حتى اليوم في الأوساط العربية الرسمية ولدى المختصين في الدراسات السياسية... ولعله من الإنصاف القول أن الجامعة رغم قصورها في أداء الدور الذي كان منتظرا منها كإطار إقليمي قومي فإن ذلك لا يحجب إسهاماتها في قضايا التحرر والاستقلال للأقطار العربية.

2 - كان من الطبيعي لمصر بعد توقيع معاهدة 1936 مع الإنجليز أن تتوجه إلى المحيط العربي مستفيدة من الحرية النسبية في سياستها الخارجية التي نالتها بمقتضى تلك المعاهدة، فتعززت مكانة مصر التي أصبحت مركز الحركة العربية، بعد ما كانت سوريا هي المركز حتى سنة 1920، وبرزت خلال العشرينات والثلاثينات نزعة لاعتبار العراق قاعدة العمل التحرري العربي امتدادا للتحالف بين الفئات القومية والأسرة الهاشمية الذي وثقته الثورة العربية وظل عدد كبير من القوميين يعتبرون فيصل زعيما لحركتهم الاستقلالية والوحدوية بالإضافة إلى أن العراق كان قد حصل على استقلال نسبي قبل غيره.... وبعد وفاة فيصل سنة 1933 توقفت مؤقتا الرعاية العراقية لنشاطات الوحدة العربية وبدأت الزعامات السعودية تفرض نفسها في المنطقة العربية وتجذب فريقا من القوميين العرب وتطرح أساليب جديدة للعمل من أجل التضامن العربي وبدأ الملك عبد العزيز آل سعود يحتل دورا قياديا في الوطن العربي بعد أن حقق وحدة الجزيرة العربية.... إلا أن تطور الأحداث في فلسطين سنة 1936 والدور المصري في استقطاب المثقفين والمناضلين العرب كلها عوامل ساعدت على انتقال المركز من السعودية إلى مصر.... لمزيد من التفاصيل راجع: (خصائص الحركة العربية في الفترة بين الحربين العالميتين) د. خيرية قاسمية، مجلة قضايا عربية، لبنان، العدد الخامس، السنة السادسة أيلول / سبتمبر 1979 ص 263 - 266.

3 - باندلاع الحرب العالمية الثانية صدر قرار حل حزب الشعب الجزائري وتم في 4 أكتوبر 1939 اعتقال مصالي الحاج ومجموعة من مناضلي الحزب، بعد حملة تفتيش

واسعة، لتتم محاكمتهم وتسليط عقوبات قاسية بالسجن ضدهم وكان نصيب مصالي الحاج 16 سنة مع الأشغال الشاقة والنفي.

4 - خلافا لذلك فإننا نسجل أن أول اتصال بين التنظيمات المغاربية بعد الحرب العالمية الثانية كان بمبادرة من حزب الشعب الجزائري الذي لم تثنيه حالة التفكك التي كان عليها ليبارد في صائفة 1945 إلى إرسال كل من الأمين الدباغين ومبارك فيلالي إلى تونس في إطار السرية التامة ولينضم إليهما هناك الشاذلي مكي بغية الاتصال بقيادة الحزب الدستوري الجديد لبحث موضوع إنشاء "جبهة لوحدة النضال على مستوى المغرب العربي من أجل الاستقلال" وبعد الاتصال بكل من المنجي سليم وعلي البلهوان تم الاتفاق على الاتصال بقيادة حزب الاستقلال المغربي بواسطة المناضل المهدي بن بركة لتتوج تلك الاتصالات والمحادثات بإبرام ميثاق في شهر سبتمبر 1945 ينص على إقامة جبهة موحدة غايتها تحقيق الاستقلال وتقوم على مبادئ في مقدمتها :

- تحضير العمل المشترك على مستوى المغرب العربي من أجل استقلاله بما في ذلك العمل المسلح.
- تجنب كل مفاوضة مستقلة من طرف حزب واحد من دون بقية الأحزاب الأخرى، قبل الاتفاق المسبق مع كل الأطراف.

5 - نعني بذلك النقابات والحركات العمالية الأوروبية والفرنسية منها خاصة التي كان الحزب يجد فيها بعض السند.

6 - في ثلاثينات القرن العشرين تمت إتصالات في فرنسا وأوروبا بين مصالي الحاج والوطنيين السوريين، كما رفع الحزب في مظاهرات باريس يوم 14 - 07 - 1936 مطلب وحدة واستقلال سوريا.

7 - هذا ما يؤكد ابن الشاذلي مكي "خالد مكي" استنادا لأجندة والده ووثائقه. وتؤكد أيضا المقالات المنشورة في الصحف المصرية لا سيما منها جريدة الوحدة العربية التي نشرت له مقالا في عددها الصادر يوم 10 أبريل 1946/28 ربيع الثاني 1365، تضمن سردا لمختلف المراحل التي مر بها التيار الاستقلالي منذ نشأته واختتم بالحديث عن مجازر 8 ماي التي قال بشأنها: "... ملفتين أنظار إخواننا العرب عامة وأنظار الجامعة العربية خاصة إلى القضية الجزائرية التي إن غفل عنها العرب لا قدر الله. بات هذا القطر العربي قطرا فرنسيا".

8- Mohamed Harbi:les Archives de la Révolution Algérienne Ed. Jeune Afrique, Paris 1981 P75

9 – يذهب البعض إلى القول بأن عزام باشا هو الذي اقترح مصالي الحاج بضرورة مشاركة الحزب في الانتخابات الخاصة بالمجلس الوطني الفرنسي التي كانت ستجري في شهر نوفمبر 1946 وهي المشاركة التي نصحه بها معظم الساسة الفرنسيين الذين التقاهم مصالي الحاج -أنظر في هذا الشأن:

Messali El Hadj et les berbéro-nationalistes Quand le Zaim est contesté :Ali Guenoun reflexions casbah Editions N° 4 P101.102

10-Mehsas Ahmed : le mouvement revolutionnaire algérien, l'harmattan Paris 1979 page 239.

11 - لم يكن الرأي العام العربي يعرف الكثير عن حقيقة الأوضاع في الجزائر التي كان الكثير من الناس في المشرق يعتبرها جزءا من فرنسا ولو ثقافيا ، وذلك رغم الجهود التي بذلها المشايخ والعلماء الجزائريين في المشرق من خلال احتكاكهم بالفعاليات الثقافية ... وعلى الرغم من أن التيار الاستقلالي كان معظم أعضائه مقتنعين بانتماهم العربي ويعتزون بالتاريخ والثقافة العربية - حتى وإن جهلوا - والأدلة على ذلك كثيرة منها وصف محساس أحمد لرفيقه محمد بلوزداد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية بسعد زغلول الذي كان يرمز للسياسي العربي الماهر ... على الرغم من ذلك فإن عدم الاتصال والتفاعل أدى إلى الجهل المشترك للطرفين ببعضهما البعض.

12 – للاطلاع على النص الكامل للمذكرة : راجع : الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، الصادرة عن المتحف الوطني للمجاهد، السنة الثانية، العدد الثاني، 1995.

13 – أنظر: النشاط الوطني الوحدوي العربي الإسلامي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1940 -1953، المواقف مجلة العلوم الإسلامية، إصدار المعهد الوطني العالي لأصول الدين مولود قاسم نايت بلقاسم -الجزائر، العدد 6 السنة السادسة 1997 -1998 ص. 656

14 – يمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى تلك العناوين ليجد مقالات وكتابات وبيانات وأخبار حول حزب الشعب الجزائري وقائده مصالي الحاج.

15- El Ouma 1^{er} septembre 1947, cité par collo (claud) le PPA (1937-1947) in R.A.S.J.E.P.N. 1MARS 1971 P151.

16- Kaddache Mahfoud, histoire du nationalisme algérien (1919-1951) T1 P524.

- 17 - علال الفاسي : الحركة الاستقلالية في المغرب العربي ، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال (مراكش) مطبعة الرسالة ط 1 ص 375.
- 18 - نفس المصدر ص 375.
- 19-Slimane Chikh, l'Algérie en armes au temps des certitudes, OPU , 1981, p 487
- 20 - كان لفلسطين وليبيا ومراكش واستنادا للمادة 4 من ميثاق الجامعة العربية ممثلين في لجان الجامعة ، وهو الأمر الذي لم يكن ممكنا للجزائر لطبيعة الاستعمار الاستيطاني الذي كانت عليه.
- 21 - علال الفاسي ، مرجع سابق ، ص 376.
- 22 - هل هو من الصدف أن يكون تاريخ افتتاح أشغال المؤتمر هو نفسه يوم انطلاق أشغال مؤتمر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالجزائر (15 - 17) فيفري ليتوج بقرار تكوين: المنظمة الخاصة OS .
- 23 - للاطلاع على التوصيات كاملة ، راجع ، أطروحتنا لنيل دكتوراه دولة ، بعنوان البعد المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية 1926 - 1958 ، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 1998 ، ص 312 وما بعدها.
- 24 - كانت مشاركة حزب الشعب الجزائري ممثلة في: الشاذلي مكي ، الطاهر بن صالح ، أحمد مدني ، أمين مدني ، الطيب بن أحمد.
- 25-Henri Benazet, l'Afrique Française en danger, librairie Artheme, Fayard, Paris 20 octbre 1947.p88.
- ❖ - تناولت هذا الموضوع جريدة le progrès Egyptien في عددها الصادر بتاريخ 10 جويلية 1947 وذكرت أن المدينة الجزائرية ، التي كان سيهرب منها مصالي هي مدينة "بسكرة".
- 26 - حسب جريدة "لوفيفارو" (le Figaro) الفرنسية العدد 892 ، السبت 26 جويلية 1947 ، فإن تهريب الأمير تم يوم 29 - 30 ماي 1947.
- 27 - لمزيد من التفاصيل حول عملية تهريب الأمير راجع : وحيد الدالي: أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام ، مكتبة روز اليوسف ، يناير 1982 ص 86 - 90.
- 28 - راجع أطروحتنا لنيل شهادة دكتوراه دولة بعنوان "البعد المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية".

- 29 - الصديق سعدي كان أستاذ الشاذلي مكي في مدينة تبسة ، حسب قول ابن الشيخ المكي ... ويبدو أن الصديق سعدي لم يكن له اهتمام بالعمل الحزبي إذ تثبت شهادة عمل له أنه كان مدرسا للفرنسية بمصر من سنة 1949 إلى غاية 1963. ترجم بعض الكتابات لفرحات عباس ونشرها في جريدة البصائر.
- 30 - أنظر : تطور الدبلوماسية الجزائرية 1930 - 1962 ، اعداد وحدة البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ص 84.
- 31 - بنيامين سطورة: مصالي الحاج 1898 - 1974 رائد الوطنية الجزائرية ، ترجمة صادق عماري ، مصطفى ماضي ، دار القصبة للنشر 1998 ص 205.
- 32-Témoignage oral d'Omar Oussedik: Messali,L, Debaghine et le choix de la lutte armée en 1947, Ali Guenoun, reflexions op, cit. p220-221.
- ❖ - لم تكن القضية المعنية قضية فلسطين بل قضيتي تونس والمغرب.
- 33 - وحيد دالي ، مرجع سابق ص 415 - 416.